الفصل الثالث

طبيعة المواد التربوية وعلاقتها برياض الأطفال

دلت الأبحاث الجديدة التى تتابعت فى مجالات التربية على مدى ما حققته من التطور فى العصر الحاضر، فقد أصبحت علما له أصوله وقوانينه ومذاهبه، مما يحتم على رجال التربية أن يقوموا بدراسة ذلك كله والتزود به ليكونوا على بصيرة تامة ووعى كامل فى تصديهم لهذه المهمة، مهمة التنمية الإنسانية، وأصبحت كذلك فنا من الفنون التطبيقية، مما يحتم أيضا على رجال التربية أن يكونوا ذوى استعدادات طبيعية يقتدون بها على توظيف التربية والمهارة فى استخدام أصولها وتحقيق أهدافها. وكان من ثمرات هذا التطور نشأة «البحث التربوى».

ان التطور الذى شهدته التربية من جوانبها المختلفة أدى بالباحثين فيها إلى تشعب الدراسات التربوية وتنوعها إلى شعب أصبحت رئيسية بحيث تعد كل شعبة منها علما من علوم التربية. ولكن كل علم منها فى الوقت نفسه هو جزء من الوحدة العضوية التى تتشكل منها التربية.

هذه العلوم هى: الدراسات النظرية والعملية والمقارنة والتاريخية التالية:

١. الدراسات النظرية:

تتناول هذه الدراسات أصول التربية. وهى أول ما ينبغى على دارسى التربية أن يبدأوا به فى ثقافتهم التربوية، لكى يقفوا على المنابع الحقيقية لهذا العلم وهى أصول التربية التى تنظم أسس التربية، وأهدافها، والنظريات والقوانين والفلسفات التى تقوم عليها وتقوم بها فى الوقت نفسه، كما تشمل عوامل التربية، ومفاهيم الخبرة التربوية، ومباحث علم النفس التربوى التى امتزجت بالتربية كالتعلم ومراحل النمو وخصائصها وحاجاتها واتصال الانسان ببيئته، وتشمل أيضا أنواع التربية وأهميتها للنشء والأسرة والدولة والمجتمع الإنسانى هذه الدراسات النظرية هى نقطة البدء فى التربية ومنها تكون الانطلاقة نحو دراسات أعمق وأوسع، كما أنها تحقق للباحث اتجاها فكريا فى التربية اذ تغرس فيه ملكة النقد والموازنة والقدرة على الاستنباط والقياس أو ما يمس بصفة عامة (الحس التربوى).

٢.الدراسات العملية:

وهى الدراسات التجريبية التى تقوم على متابعة الدراسات النظرية السابقة وتترتب عليها، وهى دراسات تجريبية وتربية تجريبية فى الوقت نفسه، وتكاد تكون محور البحث التربوى وأساسه، لأن التربية التجريبية تعتمد على البحث الذى يستند إلى التجربة والاختبار فى شروط العمل المدرسى وفى أحسن الوسائل والطرق التى ينبغى أن تستخدم فيه، فهى تربية مخبرية ميدانها المدرسة. تكون فى المدارس والإدارة، وما فيها من الظواهر التربوية كالمناهج والكتب وطرائق التدريس والوسائل التى تتخذها والأهداف التى تسعى إلى تحقيقها.

يقوم بهذه الدراسات التربوية رجال متخصصون قد توافرت لهم الظروف التجريبية التى تمكنهم من الحكم على قيمة هذه الطريقة أو تلك. أو على مذهب تربوى أو غيره وقد حقق بعض الباحثين آراء وأحكاما مختلفة نتيجة التجارب التى أجروها على طريقة المشروع، وكذلك منتسورى ودلتون وغيرهما. كما أجروا تجارب كثيرة على التعليم العام والتعليم الفنى والتعليم العالى والجامعى ودور المعلمين والمعلمات وعلى نماذج متنوعة من التلاميذ والطلاب فى بيئات مدرسية مختلفة.

ففى ضوء التطبيق العملى للدراسات النظرية يقوم الباحثون بالاحصاءات وجمع البيانات وتسجيل الظواهر التربوية وغيرها من عالم الحياة فى المدارس، ويقومون بدراستها والموازنة بينها لكى يخرجوا منها باحكام سديدة فى مشكلات التربية.

أما النتيجة فهى التخطيط السليم للمستقبل ومحاولة حل المشكلات الحاضرة وتطوير التربية والتعليم حتى يسايرا روح العصر وحاجات البيئة واعداد الأجيال الجديدة اعدادا تربويا نابعا من التجارب والاختبارات والقياس.

وتتوقف قيمة النجاح فى البحث التجريبى على صحة الاحصاءات والبيانات والتعاون المخلص الواعى بين جميع الأطراف المعنية فى هذا الشأن. وهى المدارس والادارات التعليمية ومراكز البحث العلمى والوزارات التى تشرف على التعليم ووزارات الثقافة والإعلام المختلفة والمجالس القومية للبحوث التربوية.

٣. الدراسات المقارنة:

وتعد امتدادا للبحث التربوى لمعرفة ما عند الامم المختلفة من نظم التربية والتعليم وما اتخذت من وسائل وأهداف.

وقد أصبح البحث المقارن من سمات العصر الحديث، لا فى التربية فقط بل فى الأدب والقانون وغيرها من العلوم الإنسانية، بل وفى العلوم التجريبية كالطب والتصنيع.

وقد سبق أن أوضحنا مرونة التربية وتطورها، وهى فى ذلك تنبع من ضمير كل أمة بما يتفق مع بيئتها وظروفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وموقعها الجغرافى وتراثها الحضارى وتطلعاتها نحو المستقبل. ولهذا تعددت النظم التربوية وتنوعت الأفكار والمبادئ التى تقوم عليها، حتى أصبح لكل أمة نظام تربوى خاص بها على الأقل فى تفاصيله الداخلية الخاصة بها، إلى جانب التفاصيل العامة التى قد تشترك فيها مجموعة من الامم معًا.

ولما كانت التربية تتطلع إلى ما وراء الآفاق ولا تقنع بالعزلة فى حدود المكان والزمان كان لابد من قيام دراسة تربط بين التربية فى مختلف مواقعها وهى الدراسات المقارنة، هذه الدراسات التى تعزز الدراسات التجريبية السابقة وتنضم إليها فى مجال البحث التربوى الشامل.

إن الأهداف التى تحققها هذه الدراسات المقارنة عن غيرنا فى الشرق وفى الغرب تعطينا أضواء باهرة نهتدى بها إلى فهم طبيعة التربية عندنا بالقياس إلى غيرنا، وتوضح لنا أوجه الاتفاق أو الخلاف بيننا وبينهم، وترسم لنا الطريق الصحيح إلى ما يجب أن نأخذ به أو ندعه، وما عندنا وعند غيرنا من محاسن، وما قد يوجد من نواحى التخلف.

كما تكشف هذه الدراسات المقارنة عن الأسباب التى أدت إلى ايجاد الفروق بين النظم التربوية، والتوصل إلى معرفة المبادئ والاتجاهات التى أدت إلى تطوير التربية والتعليم، ووضع الجداول التحليلية التى نتوصل منها إلى الحقائق التربوية المختلفة.

كما تدعو إلى تجنب الخطأ فى التربية، لأن خطأها فادح، فالخطأ فى تربية جيل يؤدى إلى عواقب سيئة قد تمتد إلى ما بعده من الأجيال.

٤. الدراسات التاريخية:

وهى وثيقة الصلة بالدراسات المقارنة وتتنوع الدراسات التاريخية من دراسة كل أمة لتاريخ تربيتها، إلى قيامها بدراسة تاريخ التربية عند الأمم الأخرى فى الوقت نفسه. ومادامت التربية مرنة متطورة فلابد أن تمر فى تاريخ كل أمة بأدوار مختلفة تنتقل فيها من مرحلة إلى مرحلة ومن دور إلى دور فى حياة الأمة الواحدة. وبذلك تتكون العناصر التاريخية للأمة من الزاوية التربوية المتطورة.

ودراسة كل أمة لتاريخ التربية عند غيرها من الأمم يؤدى إلى تقارب وجهات النظر فى التربية، ويوصل فلسفاتها القديمة بالحديثة، وتمهد الطريق لرسم التطلعات فى المستقبل، وتحقيق الشراكة العامة فى التراث الإنسانى بين الناس جميعا.

إن أى مرحلة من مراحل التطور فى التربية لا ينبغى أن ينظر إليها على أنها وحدة مستقلة، بل هى قائمة على عناصر من الماضى ذات جذور تتصل بالحاضر لتواجه مطالبه ومشكلاته، وتمتد إلى المستقبل لترسم له التخطيط السليم على ضوء دورتها التاريخية.

صلة التربية بالعلوم الإنسانية:

العلوم الإنسانية هى العلوم التى تتخذ الإنسان محورا لدراستها وهى تبدأ نظريات مستقاة من تفاعل الحياة الإنسانية فى المجتمعات، لتتحول إلى عمل إنسانى منظم متعدد الجوانب كالتربية وعلم النفس والعلوم الدينية وعلم الاجتماع والفلسفة والتاريخ واللغات وغيرها مما له علاقة مباشرة بالإنسان.

كما تتفاعل معها فى دراستها جميعا لجوانب الإنسان، وتتطور فى ضوء ما تحققه هذه العلوم من تطورات، وهى فى النهاية المجال الذى تطبق فيه نتائج هذه العلوم تطبيقا فنيا على أسس علمية مدروسة.

هذه العلوم الإنسانية هى:

١. التربية والعلوم الدينية:

وهنا نختار هذا التعريف الشامل للدين: «الدين هو الاعتقاد بوجود ذات علوية ـ هى ذات الله تعالى ـ تتصف هذه الذات بجميع صفات الكمال المطلق، وهى تصرف وتدبر الشئون التى تعنى الإنسان أو تخطر له من جميع أمور الكون، اعتقاد يحمل صاحبه على الانقياد والخضوع والمناجاة، فى حدود التعاليم الصادرة عن تلك الذات العلوية[1]. والعلوم الدينية هى تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية ومصطلح الحديث والفقه والتوحيد والعبادات والمعاملات والتهذيب والأخلاق وروحها الايمان مع السعى ثم التفويض لله. وهذه العلوم مادة أساسية فى المناهج على قدر الحاجة إلى كل منها تبعا لمراحل النمو ومراحل التعليم. وتتحقق ثمراتها فى التربية حينما تكون مواد تطبيقية عملية يمارسها التلاميذ وتنتقل من حيز التعاليم إلى حيز السلوك. ولنا فى رسول الله أعظم قدوة فى ذلك، فقد صلى امام الناس وقال: «صلوا كما رأيتمونى أصلى» وحج امام الناس وقال: «خذوا عنى مناسككم» أى أعمال حجكم.

وفى صفوف التلاميذ يكون المدرس هو الرائد فى هذا التطبيق العلمى لما تعلمه التلاميذ، لكى يربى نفوسهم على الخضوع لله والانقياد له، ويربى عقولهم على تنقية الحقائق وتحكيم العقل السليم فى شئون الحياة، ويربى وجدانهم على حب الدعوة إلى دين الله واصطفاء أنبيائه ورسله وكتبه وحب الإنسانية العامة. ويربى جوارحهم على الخشوع والصيانة عن ارتكاب المحرمات، كما يربيهم على الأخذ بالطيبات وكل ما هو حلال مشروع.

٢. التربية وعلم النفس:

علم النفس العادى هو العلم الذى يبحث فى الإنسان باعتباره كائنا حيا يشعر ويفكر ويعمل وهو فى كل ذلك يتأثر بالمجتمع ويؤثر فيه. وقد تعددت مجالات علم النفس بفاعلية الحضارة الحديثة فأصبح علوما متنوعة منها علم النفس التربوى أو

---

(١) التربية وطرق التدريس للأستاذ النحلاوى وزميليه: جـ ١ ـ ص ٨٠.

التعليمى، وهو علم نظرى تطبيقى فى آن واحد، اذ هو تطبيق المبادئ الرئيسية فى علم النفس على مشكلات التربية والتعليم.

«وحينما نشأ علم النفس العام، وشرعت قضاياه فى أن تأخذ صورة عامة، ووجدت التربية نفسها منساقة إلى تطبيق هذه المبادئ السيكولوجية فى مختلف نواحى النشاط المدرسى ثم اتسع الأمر شيئا فشيئا حتى أصبح اعتماد النظريات التربوية على الحقائق السيكولوجية أمرا لا غنى عنه. وأصبحنا نرى الكثير من النظريات التربوية مصبوغة بصبغة سيكلوجية. بيد ان الاهتمام بالمظهر النفسى فى مشكلات العمل المدرسى، والاهتمام بتحديد العوامل السيكلوجية التى تحسن العمل المدرسى، والتى تساعد على تحقيق الأهداف التربوية، هذا الاهتمام هو الذى أسهم بقسط كبير فى تحديد موضوع علم النفس التربوى[1].

ثم استقرت موضوعات علم النفس التربوى على ضوء البحث فى عقلية الفرد باعتباره فردا ناميا يتلقى العلم والمعرفة، وتشمل الدراسات الآتية:

١ ـ دراسة أطوار النمو الجسمى والعقلى لدى الناشىء ومعرفة خصائصها فى كل دور من أدوار حياته.

٢ ـ الغرائز والميول فطرية ومكتسبة، ومدى تأثيرها فى سلوكه.

٣ ـ الذكاء وطرق قياسه واختباره.

٤ ـ طرق التعلم ونتائجه فى النواحى الادراكية والوجدانية والنزوعية. وعناصر عملية التعلم وقوانينه وقياس درجته (سبق ان شرحنا ذلك فى موضعه).

٣. التربية والفلسفة:

تكمن العلاقة بين التربية والفلسفة فى أن التربية هى التطبيق العملى لنظريات الفلاسفة والفلسفة باعتبارها وجهة نظر يراها المفكر ويؤمن بها ويدعو اليها ويفسر بها مختلف الحقائق الا أنها لا تسمى فلسفة إلا اذا اتسمت بعمق الفكر وأصالة الرأى وعناصر القوة التى تواجه المناقشة والمجادلة والاقناع وقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان وتحمل مضمونا إنسانيا رفيعا يرقى إلى منزلة التطبيق فى ميادين

(١) علم النفس التربوى للدكتور أحمد زكى صالح: ص ٢٤.

التربية، لأن المسئولية خطير، والتبعة ثقيلة. اذ الأمر يتوقف عليه مصير جيل أو أجيال، وهذا يؤكد علاقة التربية بالفلسفة من جهة أخرى تسبق التطبيق العملى، فلولا آراء الفلاسفة ما وجدت التربية طريقا تسير عليه فى كثير من ميادينها كاختيار بعض المناهج الواقعية والتجريبية ورسم طرق التدريس الخاصة بتطبيق هذه المناهج، والمهارات الخاصة، وربط المدرسة بالحياة الاجتماعية، واكساب التلاميذ بعض العادات الهامة كعادة التفكير وتقدير العمل والعاملين.

بهذا يتضح لنا أن الفلسفة هى النظريات العامة للتربية، وان التربية هى المجال العملى الذى يحقق مضمون الفلسفة ويمنحها قيمة لا تتحقق لها بدون التربية.

٤. التربية وعلم الاجتماع:

علم الاجتماع التربوى لا يتركز فى التربية وحدها، أو يتركز فى علم الاجتماع وحده بل يمزج بينهما مزجا عضويا ويقرر على ضوء الواقع ان التربية والاجتماع عملية تربوية متكاملة.

ذلك ان علم الاجتماع التربوى، وهو يطبق مبادئ علم الاجتماع فى التربية، انما ينظر إلى عناصر العملية التربوية كلها: من مادة دراسية إلى نشاط مدرسى إلى طريقة تدريس إلى تنظيم اجتماعى للحياة داخل المدرسة لكى يوجهها جميعا إلى ما يحقق مصلحة المجتمع.

وعلى هذا الأساس ينظر علم الاجتماع إلى أنواع المعارف المدرسية فى توجيه نمو التلاميذ وفى تحقيق أهدافها على ضوء المجتمع.

فعلم الاجتماع يعتبر المجتمع نقطة البداية فى العمل المدرسى. وعلم النفس يعتبر الفرد هو نقطة البداية وهما فى النهاية يلتقيان.

وعلم الاجتماع ينظر إلى ناحية أخرى يسميها (التربية الاجتماعية) وهى تأثير الكبار فى الصغار. أى تأثير جيل من الراشدين فى الجيل الذى يعيش معه من الناشئين ويظهر أثر ذلك فى بعض المناهج المدرسية التى يضعها الكبار مشتملة على أشياء موروثة من قبل وقد تكون صلتها ضئيلة بالحياة الجديدة التى ينشأ فيها التلاميذ، ولكنها فى الوقت نفسه خلاصة أفكار مجربة يعتز بها الكبار ويحرصون على نقلها إلى الصغار.